الفصل الثانى
الحياة الأدبية عند المناذرة
وفنون الشعر الجاهلى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثانى
الحياة الأدبية عند المناذرة
وفنون الشعر الجاهلى

لقد أدرك ملوك الحيرة أهمية الشعر فهو مرآة البيئة وصدى لمظاهر الحياة فيها وترجماناً صادقاً لأحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما كانت تموج به الحياة فى ذلك الوقت من أحداث ووقائع وأيام وحروب. وكان الأدب بفروعه المختلفة والشعر بخاصة مزدهراً فى هذه البيئة، فالعرب أمة شاعرة رأت فى الشعر خير وسيلة للتعبير عن هذه المظاهر كلها، ولذلك فقد أوى ملوك الحيرة الشعراء وقربوهم وأغدقوا عليهم الكثير من المنح والعطايا وهكذا وجد الشعراء والأدباء مرتعاً خصباً ومكانة مرموقة لدى ملوك الحيرة، ومن هنا كان لملوك الحيرة المناذرة أثرهم البارز فى رقى الحياة الأدبية وازدهارها فى الحيرة، وقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على ازدهار الحياة الأدبية فى رحاب المنذرة نذكر منها:

1 ـ رغبة المناذرة فى المديح وإجازتهم عليه

فقد كان من أهم العوامل التى ساعدت على ازدهار الحياة الأدبية فى بيئة الحيرة رغبة ملوكها فى المديح وإسرافهم فى الأجازة عليه من جهة، وقد ساعد هذا وذاك على تجويد الأدباء لفنهم وسعيهم فى أن يحظى كل واحد منهم برضا الممدوح، وأن ينال مكافأته أو جائزته وسط حشود الشعراء والأدباء الذين توافدوا على بلاط المناذرة

لهذا الغرض.

فقد جاء فى أمالى القالى أنه لما تُوج النعمان؛ واطمئن به سريره دخل عليه الناس وفيهم أعرابى فأنشأ يقول :

إذا سست قوماً فاجعل الجود بينهم

وبينك تأمن كل ما تتخـــوف

فإن كشفت عند الملمات عـورة

كفاك لباس الجود ما يتكشف

فقال النعمان: مقبول منك نصحك وأمر له بمائة ناقة وهى أول جائزة أجازها.[1]

وهذه الجوائز من النعمان تُعد دليلاً صادقاً على حبه للشعر وتقديره للشعراء حتى كانت هذه المنح الشخصية أول خطوة فى طريق نهضة الحياة الأدبية فى الحيرة فى عهده.

ولم تمض سنوات على توليه الملك حتى ازدحم بلاطه بالشعراء والخطباء والبلغاء يفدون إليه من كل حدب وصوب، ولم يكن لهؤلاء أن يؤموا هذه الرحاب لو لم تكن مجالات المنافسة والتشجيع والجوائز والهبات موجودة فعلاً فى تلك الأماكن.

وروى أن النابغة لما سأل صاحب النعمان الاستئذان للدخول عليه قال له الحاجب الملك على شرابه ولما سأله من عنده؟ قال: خالد بن جعفر ابن كلاب، فتوسل إليه فى أن يمكنه من الدخول على النعمان ففعل،

---

[1] الأمالى للقالى، ج236/1، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة، مصر، 1953م.

فلما دخل النابغة على النعمان حياه بتحية الملك وقال: أبيت اللعن أتفاخر وأنت سائس العرب وغرة الحسب، واللات لأمسك أيمن من يومه ولقفاك أحسن من وجهه وليسارك أسمح من يمينه ولوعدك أصلح من رفده ولعبيدك أكثر من قومه ولاسمك أشهر من قدره، ولنفسك أكبر من جده وليومك أشرف من دهره ولفترك أبسط من شبره. ثم قال:

أخلاقُ مجدِكَ جلتْ ما لها خَطرٌ

فى الجودِ والبأس بين العلمِ والخيرِ

متوجٌ بالمعانى فوق مفرقِهِ

وفى الوغى ضَيغمٌ فى صورةِ القمرِ

فتهلل وجه النعمان بالسرور، ثم أمر فحشى فوه جوهراً، ثم قال: بمثل هذا فلتمدح الملوك.[1]

وهذا يدل على مدى ما كان يظفر به الشعراء فى بلاد المناذرة من حفاوة وتكريم، وهذا بالطبع كان يدفعهم إلى تجويد فنهم والتفنن فى طرائق التعبير عن عواطفهم وحسن تصوير معانيهم، فعلى مقدار الامتياز فى ذلك كله تكون قيمة العطاء، كما أن رغبة الملوك فى المديح والإشادة بالمناقب وإذاعة الأمجاد حباً فى الصيت وتخليداً للذكرى أدى بهم إلى المبالغة فى المنح والعطايا وقضاء الحاجات لمن يؤمهم من الشعراء.

---

(1) نهاية الأرب فى فنون العرب للنويرى، ج3، ص177، طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، مروج الذهب للمسعودى، ج359/1، 360 تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، 1966م.

فقد كان النعمان بن المنذر يعطى النابغة الذبيانى إبلا وريشها[1]، أى بما يصالحها من الآلة والثياب[2].

وقد أدى ذلك النهج الذى انتهجه النعمان بن المنذر إلى ازدهار الحياة الأدبية وظهور الجودة والإتقان عند معظم الشعراء والأدباء الذين أموا الحيرة.

2ـ عروبة المناذرة وتذوقهم الشعر :

وثَمَّ عامل آخر دفع الحياة الأدبية فى بيئة الحيرة دفعة قوية وساعد الشعراء على حذق فنهم وتجويده، ألا وهو عروبة المناذرة وتذوقهم للشعر ولنماذجه الجيدة، وطربهم له، وقد كان على رأس قائمة ذوى الأذواق الأدبية السليمة النعمان بن المنذر الذى كان يطرب للشعر ويتعرف بحسه وذوقه على مواطن الحسن والرداءة فيه ويميز الغث من السمين منه وإن كانت التأثرية بأدبه- أحياناً – فى استحسانه وهى سمة مميزة للنقد الأدبى فى أطوار نشأته الأولي، ومن ذلك تعليقه على أبيات للنابغة بمدحه فيها بقوله : بمثل هذا فلتمدح الملوك[1].

وفى مناسبة أخرى ترى عمرو بن هند يطرب ويهتز ويبلغ به الطرب حد الخروج عن مألوف طبعه وعادته وما عرفه الناس به، وذلك حينما مدحه الحارث بن حلزة اليشكرى بمطولته التى مطلعها :

---

(1) أعطاه مائة بريشها: قيل كانت الملوك إذا حبت حباءً جعلوا فى أسمنة الإبل ريشاً وقيل ريش النعام ليعلم أنها من حباء الملك وقيل معناها برحالها وكسوتها لأن الرحال لها كالريش.

(2) مجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب 35/1، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، ط3، دار المعارف مصر.

(1) نهاية الأرب للنويرى 177/3، مروج الذهب للمسعودى 360/1.

آذنتنا ببينها أسماء رُب ثاو يملُ منه الثواء

والتى يقول فيها مادحاً لعمرو بن هند :

ملك أضلع البرية ما يو جد فيها لما لديه كفاء

وذكر ابن قتيبة أنه قالها ارتجالاً بين يدى الملك فى شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح وكان ينشده من وراء السجف للبرص الذى كان به، فأمر بدفع السجف بينه وبينه استحساناً لها[1].

وما كان ذلك ليكون لولا تذوقه الشعر وتقديره للشعراء المجيدين وعلى هذا الذى جرى كانت عادة ملوك الحيرة، يقربون الشعراء ويتخذون منهم خواص وندماء ومن خلال ذلك أمكن للشعراء أن يفوزوا بجوائزهم وأن يحصلوا على بغيتهم ووسيلتهم فى ذلك الشعر وحده.

ومما يدل على تذوقهم للشعر وحفاوتهم به وتقديرهم له ما رواه أبو جعفر النحاس المتوفى سنة 338هـ، وهو من علماء اللغة والنحو والأدب، وأحد شراح المطولات حيث قال فى شرحه ما نصه واختلفوا فى جمع القصائد السبع وقيل إن العرب كانوا يجتمعون بعكاظ فيتناشدون الأشعار، فإذا استحسن الملك قصيدة قال : علقوا لنا هذه وأثبتوها فى خزانتي، ثم يقول أبو جعفر: أما قول من قال إنها علقت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة[2].

---

(1) شرح القصائد العشر للخطيب التبريزى 430، 453، الشعر والشعراء لابن قتيبة 230/1.

(2) الشعر الجاهلى د/ محمد عبد المنعم خفاجى، ص347 ط2، 1973م.

وقد رجح بعض المعاصرين أن يكون هذا الملك هو النعمان بن المنذر، فقد قيل إنه كان عنده ديوان مكتوب جمع فيه أشعار الفحول وما مدح فيه هو وأهل بيته فصار ذلك إلى بنى مروان أو ما بقى منه كما يرويه ابن سلام[1].

ولا يعنينى هنا البحث وراء علة تسمية هذه القصائد المشهورة بهذا الاسم " المعلقات" الذى اختلفت فيه آراء القدماء والمحدثين بالقدر الذى قصدت إليه من أن المناذرة ملوك الحيرة كانوا يتذوقون الشعر ويستحسنون نماذجه الجيدة ويطربون لها، وفى سبيل ذلك كانوا يغدقون على الشعراء المجيدين ويقربونهم منهم وفى هذا نهوض بالحياة الأدبية فى بيئتهم وعامل من عوامل رقيها وازدهارها.

ويجدر بى أن أشير هنا إلى أن أصحاب عيون الشعر العربى أى أصحاب المطولات " المعلقات " كان معظمهم ممن وفدوا على ملوك الحيرة ومدحوهم فى أشعارهم ونالوا هباتهم وعطاياهم وأذكر منهم النابغة والحارث بن حلزة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد وغيرهم.

ولم يقف تأثير ملوك الحيرة فى الشعر الجاهلى فى بيئاتهم عند حد تذوقه والطرب له والإجازة عليه وإنما كان بعضهم يقرض الشعر حين تتوافر عنده بواعثه وأدواته، كما سجله تاريخهم، ومن الملوك الذين نبغوا فى قول الشعر النعمان بن المنذر وابنه المحرق بن النعمان وعمرو بن هند وغيرهم..

---

[1] طبقات ابن سلام، 25/1، مطبعة المدني.

ويقول الدكتور/ جواد على فى كتابه " المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ": وقد كان ملوك الحيرة شعراء ينظمون الشعر ولهم إطلاع ووقوف على شعر الشعراء وكان من يتصل بهم من سادة شعراء كذلك[1].

3ـ المجالس الأدبية:

ومن العوامل التى ساعدت على نهوض الحياة الأدبية وازدهارها فى الحيرة انتشار المجالس الأدبية، وهذه المجالس كان يؤمها الكثير من الشعراء والخطباء والنقاد فى حضرة الملك الذى كان يرهف حسه لسماع ما يقال من قصائد المديح التى كان يطرب لها ذوقه ويلذ بها سمعه وتتجاوب مع معانيها عواطفه وأحاسيسه.

وقد كان الشعراء يحرصون على تجويد مديحهم وإتقان فنهم حتى يحظوا بإعجاب النقاد ويظفروا بجائزة الملك، هذا بدوره قد ساعد على ازدهار الشعر وتنويع فنونه وتوليد الكثير من الأغراض كالمديح والفخر والهجاء، والوصف والاعتذار وغيرها. مما يقال فى مثل هذه المجالس.

وقد أورد لنا الدكتور/ جواد على فى كتابه المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام وصفاً دقيقاً لما كان يحدث فى هذه المجالس على النحو التالى يقول: كانت العادة أن الشاعر يقف أمام الملك الذى يكون جالساً على سريره فينشده شعراً بعد أن يكون قد استأذنه بذلك وقد

---

[1] المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد على، 429/9.

يكون فى المجلس جملة شعراء أذن لهم بالدخول عليه جملة واحدة لينشدوا الملك شعرهم وما جاءوا به من شعر فى مديحه ويكون المجلس عامراً بأهل الحظوة من المقربين إلى الملك ومن الشعراء الملازمين له[1].

كما يقول – أيضاً- عن كثرة هذه المجالس فى الحيرة:

وكانت مجالس ملوك الحيرة عامرة بهذه المناسبات أكثر بكثير من مجالس الغساسنة لغلبة النزعة العربية على ملوك الحيرة وقلة تأثرهم بالحضارة وتغلب الحياة الحضرية على الغساسنة، وتأثرهم بالحياة اليومية لأهل الشام وبنزعة الروم فى الحكم وآداب السلوك، حتى أنهم كانوا يتلذذون فى الاستماع إلى غنائهم ولهم قيان فى قصورهم وبيوتهم يغنون لهم بغناء الروم[2].

ويقول عن عادة الشعراء فى الدخول على الملك: وكان من عادة الأعراب الطواف حول قبة الملك مع رفع الصوت بالرجز ليسمع الملك صوت الراجز، فإذا عرفه وأعجبه رجزه أذن له بالدخول وكان الملوك يضربون قبة على أبوابهم، يعقد فيها الناس حتى يؤذن لهم، وقد يكون هذا الرجز مقدمة لدخول الشاعر على الملك حتى يلقى عليه ما يكون قد نظمه فى مدحه وفى مدح آله من شعره[3].

ويقول عن عادة الملوك: " وكان من عادة الملوك وسادات القوم والأشراف أنهم إذا سمعوا الشاعر واستحسنوا شعره طربوا حتى يظهر

---

(1) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على 87/9، الطبعة الثانية 1978م، دار العلم للملايين بيروت مكتبة نهضة بغداد.

(2) المصدر السابق، 87/9.

(3) المصدر السابق 87/9، وانظر أيضا، خزانة الأدب،517/9،516.

الطرب عليهم، وأظهروا استجادتهم لشعره، وربما شربوا إذا كانوا فى مجلس الشرب وأدنوا الشاعر إليهم وأسقوه من شرابهم حتى يطرب، وقد يطلبون من الشاعر إعادة إنشاد الأبيات المستجادة.

وكان الشاعر يستأذن صاحب المجلس أولاً ليسمح له بإنشاده شعره، ولما أستاذن النابغة : الجعدى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن ينشده شعره قال الرسول: أجدت لا فض فوك، ولا يزال الناس يرددون هذه العبارة، وعبارة أحسنت وأجدت، أو أعد، يقولونها بحماس وبصوت مرتفع ارتفاعاً يتناسب مع حس الاستحسان إذا قال الشاعر قولاً يستجيده العارفون بالشعر[1].

وهناك كثير من الشعراء كالنابغة والأعشى وعدى بن زيد : والمنخل اليشكرى وغيرهم قد تضمن شعرهم وصفاً لهذه المجالس وما كان يحدث فيها، كما أن أخبار هؤلاء وسيرهم تطالعنا على مدى ما تعرضوا له من حفاوة وتكريم أو إهانة وإساءة بين أقرانهم فى ظل هذه المجالس، كما أن الشعراء قدروا لهذه المجالس حق قدرها، فجدوا فى تهذيب فنهم وتجديده حتى يحظى بالقبول والذيوع، وربما كان ذلك من أقوى العوامل التى عملت على رقى الحياة الأدبية وازدهارها فى تلك البيئة.

4ـ صلف المناذرة وحرية الشعراء :

من العوامل التى دفعت الحياة الأدبية دفعة قوية وأدت إلى نهضتها

---

[1] تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على، المصدر السابق، 9/87-88.

وازدهارها فى الحيرة فى العصر الجاهلى فقد كانت تلك الحرية المطلقة التى كان يتمتع بها الشعراء أو التى منحوها لأنفسهم على الأقل، وذلك من هجائهم لبعض ملوك الحيرة وتنديدهم بهم فكان هؤلاء الشعراء ينطلقون فى صحرائهم حيث لا حسيب ولا رقيب يحول بينهم وبين ما يشتهون من رغبة شديدة فى التمتع بالحرية والانطلاق بلا حدود فلا يستطيع الملك أن يطلبهم ولو حرص.

ومما أتاح لغرض الهجاء أن يزدهر حقاً فى بيئة الحيرة ما اتسم به بعض ملوكها وخاصة عمرو بن هند والنعمان بن المنذر من أمزجة متقلبة وحاسة دقيقة وانفعال غاضب، فقد حظى هذان الملكان بغضب غير قليل من شتائم الشعراء الغاضبين وهجائهم المقزع حتى زاد عددهم وكثرت أشعارهم كثرة ملحوظة، فنشأ فى هذه البيئة ما يصح أن نسميه فناً مستقلاً بذاته له خصائصه ومميزاته ألا وهو فن هجاء الملوك، وكان من أبرز هؤلاء الهجائين شاعران أفزعا فى هجائهما عمرو بن هند، وقد كانا نديمين له ولأخيه الأسود بن المنذر فترة من الزمن وهما طرفة بن العبد البكرى والمتلمس الضبعى[1].

فقد كان طرفة ذلك الشاب الطموح الذى لا يقوم على الخسف ولا يرضى بالمهانة ولا تعجبه سيرة الملك عمرو بن هند، فقد كان يسرف فى شرابه ولهوه ويتباطأ فى مجلسه عن الشعراء والناس فاستاء من هذه المعاملة، وقال شعراً يندد فيه بتصرفات الملك ويهيب بالرعية أن

---

[1] آمال المرتضى للشريف المرتضى، 182/1.

تجتمع على خلعه وتستبدل به غيره، يقول طرفة فى هجاء عمرو بن هند :

وليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تَدُور

لعمرك إن قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير[1]

وللمتلمس الضبعى أشعار فى هجاء " عمرو بن هند " وقد ظل يهجوه إلى أن توفى وهو فى الغربة فى بلاد الشام، وفى جملة ما قاله فيه :

اطردتنى حذر الهجاء واللـ ـلات والأنصاب لاَ تَئِلُ[2]

فهو يعيره بأنه إنما أبعده عنه وطرده لأنه كان يهجوه ولأنه كان يحذر هجاءه، ويقول فى أبيات أخرى :

أَلَكَ السَّدِيـــرُ وبَارِق وَمَرابضُ وَلكَ الخَوَرْنَق

والقصر ذو الشرفات مِـــن سنداد والنخل المبَسَّق

فلئن تعـش فلتبلغـــن أَرْمَاحُنَا مِنْكَ المُخَنَق[3]

وللشاعر "سويد بن الخذاق" شعر فى هجاء عمرو بن هند وهو أخو الشاعر يزيد بن الخذاق وهما من عبد القيس، وفى جملة ما قاله سويد فى هجاء عمرو بن هند قوله :

أبى القلب أن يأتى السدير وأهله وإن قيل عيش بالسدير غزير

---

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة 195/1 تحقيق / أحمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة 1977م.

(2) شعراء النصرانية لويس شيخو 339/3. يروى البيت واللات والأنصاب. و"لا تَئِلُ" لا تنجو والموئل الملجأ.

(3) شعراء النصرانية لويس شيخو 346/3، المفصل لجواد على 246/3.

به البقُ والحمى وأسْدُ خفيـــة وعمرو بن هندَ يُعتَدى ويجور[1]

ولو نظرنا فى قصة طرفة والمتلمس مع الملك عمرو بن هند لرأينا من خلالهما صورة من صور الحياة فى الحيرة تمثل لنا حقيقة العلاقة التى تربط الحاكم بالمحكوم، وكيف كان يتصرف الحاكم مع أفراد بيئته بما يثير غضبهم وخاصة الشعراء منهم[2].

ومن الشعراء الذين عُرفوا بخروجهم على ملوك الحيرة وهجائهم الشديد لهم الفظ بن مالك الغسانى وعصيمة بن خالد ويزيد بن الخذاق العبدى وغيرهم.

5ـ نقل المناذرة تشجيعهم للشعراء إلى بلاط الفرس :

ومما عمل – أيضاً- على ازدهار الحياة الأدبية ورقيها فى الحيرة أن المناذرة ملوك الحيرة لم يقف تشجيعهم للشعر والشعراء والبلغاء والخطباء داخل نطاق الحيرة فحسب، وإنما تجاوزه إلى مملكة الفرس نفسها وأمام كسرى ملك الفرس.

فقد قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم، والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم، فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم لا يستثنى فارس ولا غيرها[3] فعجب كسرى لِما أجابه النعمان به، وقال: إنك لأهل لموضعك من الرياسة فى أهل إقليمك ولما هو

---

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة 394/1.

(2) الفاخر لأبى طالب المفضل بن سلمة بن عاصم 73:76 تحقيق: عبد العليم الطحاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، نوادر المخطوطات 214/12/2 تحقيق: عبد السلام هارون، آمال المرتضى للشريف المرتضى 173/1 تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2 1967م دار الكتاب العربى بيروت، لبنان.

(3) انظر ذلك بالتفصيل فى العقد الفريد لابن عبد ربه 275/1 وما بعدها.

أفضل ثم كساه من كسوته، وسرحه إلى موضعه فى الحيرة، فلما قدم النعمان الحيرة وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم بعث إلى أكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة التميميين وإلى الحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين وإلى خالد بن جعفر وعلقمة بن علاتة العامرى وعمرو بن معد يكرب الزبيدى والحارث بن ظالم المري، فلما قدموا عليه فى الخورنق قال لهم قد عرفتم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها، وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غور، وأن يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولاً، ثم اقتص عليهم مقالات كسرى وما ورد عليه فقالوا: أيها الملك وفقك الله ما أحسن ماردت وأبلغ ما حججته به فمرنا بأمرك وادعنا إلى ما شئت.

فقال الرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط وتنطلقوا إلى كسرى فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره وليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه.

فخرج القوم فى أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن فدفعوا إليه كتاب النعمان فقرأه وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم، ثم بعد ذلك أذن لهم فى الكلام فقام أكثم بن صيفى فتحدث فتعجب كسرى من أكثم. وقال له: لو لم يكن للعرب غيرك لكفى.

ثم قام حاجب بن زرارة التميمى ثم قام الحارث بن عباد البكري، ثم قام بعد ذلك عمرو بن الشريد السلمي، ثم قام خالد بن جعفر

الكلابي، ثم علقمة ابن علاتة العامري، ثم قام قيس بن مسعود الشيباني، ثم عامر بن الطفيل العامري، ثم قام عمرو بن معديكرب الزبيدى ثم الحارث بن ظالم المري.

ثم قال كسري: قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم وتفنن فيه متكلموكم ولأنى أعلم أن الأدب لم يثقف أودكم ولم يحكم أمركم، وأنه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة فنطقتم بما استولى على ألسنتكم وغلب على طباعكم ولم أجز لكم الكثير مما تكلمتم به وأنى لا أكره أن أجبه، والذى أحب هو إصلاح مدبركم وتأليف شواذكم والاعتذار إلى الله فيما بينى وبينكم وقد قبلت ما كان فى منطقكم من صواب وصفحت عما كان فيه من خلل فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا مؤازرته والتزموا طاعته[1].

قد تكون هذه العوامل وربما غيرها قد عملت على نهوض الحياة الأدبية وازدهارها فى تلك البيئة التى أضحت علامة مُميزة فى تاريخ الشعر العربى فى الجاهلية بحيث لم يخل كتاب من كتب المختارات الشعرية الجاهلية من نماذج عديدة لشعراء كثيرين أقاموا فى الحيرة أو وفدوا إليها من البيئات القريبة والبعيدة على السواء ينشدون فيها شعرهم ويمدحون ملوكهم، ويتأثرون بظواهرها السياسية والاجتماعية وغيرها بحيث يمكننا أن نعد هذه البيئة رافداً قوياً من الروافد التى ألهبت شاعرية الشعراء وحركت مواهبهم

---

[1] العقد الفريد لابن عبد ربه، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، 278/2، 287، الطبعة الأولى، 1983م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وملكاتهم الشعرية وهذبت فنهم.

وقد ذخرت الأصمعيات ومختارات ابن الشجرى والحماسة وغيرها بنماذج لشعراء الحيرة فى شتى الأغراض.

كما أن كثيراً من كتب الأدب والنقد كطبقات ابن سلام، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والبيان والتبيين للجاحظ، والأمالى للقالى، والأغانى للأصفهانى، ومعجم الشعراء للمزربانى، والمؤتلف والمختلف للآمدى وغيرها، مما أفاضت بالتعريف بهؤلاء الشعراء وسرد أخبارهم وأقوال العلماء والنقاد فيهم مما يُعد ثراءً كبيراً للفكر الأدبى والنقدي.

وبعد... فهذا تصوير وجيز لبيئة الحيرة فى العصر الجاهلي، ولما كان فيها من عناصر جاءت من قبائل شتى ليستقر بهم الحال فى تلك الإمارة، ويكون منهم ملوكهم وأصحاب الشأن فيها، وما كان للفرس من دور فى تولية ملوكها وما كان يسود بينهم من تقاليد ونظم وعادات وسلوك اقتبسوا بعضها من جيرانهم الفرس وبعضها الآخر من أصل بيئتهم العربية الأصلية وما كان لملوك المناذرة من دور بارز فى ازدهار الحياة الأدبية فى تلك المناطق فى العصر الجاهلى مما كان له أثره الواضح فى الأدب العربى بعامة والشعر الجاهلى بخاصة.

فنون الشعر الجاهلى ومعلقاته

الشعر فن من الفنون الجميلة يترجم عن المشاعر، ويعتمد على العواطف، ويخاطب أحاسيس النفوس ومشاعرها، ومن هنا كان أرقى أنواع الكلام.

ولا يستطيع أحد أن ينكر على العرب فى ماضيهم أنهم عبروا عن مشاعرهم، وأنهم بذلوا محاولات فى ذلك التعبير حتى وصلوا بشعرهم إلى الصورة التى وصلتنا عنهم قبل الإسلام بنحو قرن ونصف تقريباً، وما من شك فى أن ما وصل ليس أول شعر قيل، بل مر الشعر قبل ذلك بأطوار من بيتين أو أبيات مخلخلة النغم والمعنى، ثم انتقل إلى مرحلة التهذيب، وإجادة النغم ثم إلى مرحلة الإطالة، ولم يزل يحبو فى هذه الأطوار حتى كمل، ولم يصلنا إلا بعد كماله، ويدل على هذا قول امرئ القيس:

عَوِجَا على الطَّلَلِ المحيل لأنَّنا

نبكى الديار كما بكى ابن خذام[1]

وابن خذام هذا لا شك أنه أقدم من امرئ القيس ولم نعرف عن شعره شيئاً إلا أن امرأ القيس حاكاه فى بكاء الديار.

وعنترة يقول:

هل غادر الشعراء من متردم

أم هل عرفت الدار بعد توهم؟[2]

---

(1) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص114.

(2) شرح ديوان عنترة، ص117.

ومعنى ذلك أن الشعراء لم يتركوا لعنترة شيئاً يتولى إصلاحه، وفى هذا اعتراف من عنترة بأجيال سبقته من الشعراء ولم يتركوا له ما يصلح من الشعر.

ويقول كعب بن زهير:

ما أرانا نقول إلا معاراً

أو معاداً من قولنا مكرور[1]

فهو يعترف كذلك بأنه يستعير أقوال غيره ويرددها.

وكل ذلك يشير إلى حقبة من الزمن قيل فيها الشعر قبل تلك الفترة التى وصلتنا أنباؤها من شعر المُهَلهِل وغيره.

أما متى بدأت هذه الحقبة فهذا ما لم يحدده أحد، وكل ما عُرِفَ وأجمع عليه أن كثيراً من الشعر الجاهلى ضاع حتى شعر تلك الفترة التى كانت قبل ظهور الإسلام بنحو قرن ونصف، فكم زخرت بادية نجد والحجاز واليمن والعراق والشام ومدنها جميعها بالمئات من الشعراء والشواعر وطوى الزمن عنا أكثر شعرهم، ولم تصل إلا بعض أشعار المجيدين ومن كانت لهم الصدارة.

ويرى مؤرخو الأدب القدامى أن فنون الشعر هى تلك التى قال فيها الشعراء من فخر ومدح ورثاء وغزل وهجاء، ووصف وعتاب واعتذار واستعطاف وغير ذلك.

وجرى بعض المحدثين من مؤرخى الأدب وراء الإفرنج فيما قسموا

---

(1) شرح ديوان كعب بن زهير، ص154.

إليه شعرهم فقالوا : إن فنون الشعر هي :

شعر الملاحم:

وهو الذى يذكر الوقائع ويتحدث عن الشعوب وأحوالها الاجتماعية وغيرها ويصف سير الأبطال، والملحمة : هى قصيدة واحدة تبلغ أحياناً آلاف الأبيات وتعنى بتصوير البطولة وقد تحكى تاريخ أمة بأسرها، ومثل هذه القصائد لا يمكن أن تتقيد بوزن ولا قافية. وتكثر فيها الأساطير.

والشعر العربى القديم لم يعرف هذا اللون، لأنه تاريخ فى صورة شعرية وشعراء العرب لم يعنوا قديماً بتدوين تاريخهم.

والشاعر فى هذا اللون يحكى عواطف الآخرين ويحرص على تصوير البطولة لا على تسجيل الواقع. وأحداث الملحمة تروى عن طريق الحكاية.

الشعر التمثيلي:

وهو الذى يعتمد على المحاورة بين قائلين أو أكثر. والشاعر فيه يتخلى عن أسلوبه الخاص ليتحدث عن كل شخصية بأسلوبها الذى يناسب مستواها.

وهذا اللون أيضاً لم يُعرفْ عند العرب قديماً.

الشعر الغنائى أو الذاتي:

وهو الذى يصور عواطف الفرد المستمدة من إحساساته ويصف أهواءه ويعبر عن تجاربه فى الحياة ونفسيته، وإذا تحدث عن جماعة فهو

يصور فى حديثه شخصية الشاعر باعتبار أن شعره يعكس حياة مجتمعه.

وكل الشعر العربى القديم من هذا اللون، وموضوعاته كثيرة تتناول كل مظاهر الحياة والطبيعة، ففخر الشاعر بنفسه يصور ذاته فى نظره. وفخره بقبيلته وأمجادها يعتبر مرآة لحياة الجماعة التى ينتمى إليها. والغزل والتشبيب بالنساء ووصفهن تصوير لعواطف الشاعر.

وكل فنون شعرنا القديم من الهجاء والعتاب والاستعطاف والمدح والغزل والرثاء والحكم والفخر تُعد من الشعر الغنائي.

أهمية الشعر عند العرب فى الجاهلية:

لقد عاش العرب فى الجاهلية وفقاً للنظام القبلي، فقد كانت القبيلة بمثابة الدولة التى تسوس نفسها وتقود أبناءها وترعى أمورها، ولها نظامها السياسى والاجتماعى والاقتصادي، ولها شيخها صاحب الأمر والنهى فى قبيلته.

وقد كانت القبيلة تفاخر غيرها من القبائل إذا ظهر فيها شاعر يتحدث باسمها ويعبر عن وجهة نظرها، فيرفع قومه على غيرهم من العرب، ويقف مفاخراً ومباهياً بمآثر قومه وأفضالهم، ولذلك كان العرب يهنئون بعضهم البعض بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج.

يقول ابن رشيق القيروانى فى كتابه العمدة: "وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء، يلعبن بالمزامر كما يصنعون فى الأعراس، وتباشر

الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج[1].

ولا ريب فى ذلك فقد كان الشعراء ألسنة قبائلهم ومن ذوى الرأى فيهم، يتغنون بمكارم قبائلهم وطيب أعراقهم ويذكرون أيامهم ويخلدون مآثرهم.

يقول ابن قتيبة: "وللعرب الشعر الذى أقامه الله مقام الكتاب لغيرها وجعله لعلومها مستودعاً، ولآدابها حافظاً، ولأنسابها مقيداً، ولأخبارها ديواناً لا يرث على الدهر ولا يبيد على مر الزمان، وحرسه بالوزن والقوافى وحسن النظم وجودة التحبير من التدليس والتغيير".[2]

وجاء فى كتاب الحيوان للجاحظ قوله: "فكل أمة تعتمد فى استبقاء مآثرها وتحسين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال. وكانت العرب فى جاهليتها تحتال فى تخليدها بأن تعتمد فى ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفي، وكان ذلك هو ديوانها"[3].

وجاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه: "أن النعمان بن المنذر قدم على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا ملوكهم

---

(1) العمدة لابن رشيق، ج65/1 تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة دار الجيل، بيروت، لبنان، 1972م.

(2) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص14.

(3) الحيوان للجاحظ،، ج71/1، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر.

وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم، ولم يستثن فارس ولا غيرها. ومما قاله: وأما حكمة ألسنتهم فإن الله - تعالى - اعطاهم فى أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم الأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم فى الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس"[1].

وهكذا كانت بديهة العرب حاضرة وسليقتهم مواتية وشاعريتهم لا تنضب أبداً، فقد كان الشعر من مفاخرهم ومآثرهم التى يفخرون بها على غيرهم. ولذلك كانت كل قبيلة من قبائل العرب لا تخلو من شاعر أو أكثر، يقول ابن سلام: "ذكرنا العرب وأشعارها، والمشهورين المعروفين من شعرائها.. إذا كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب.. فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم".[2]

ولمكانة الشعر وأهميته، فقد كان شريفاً عند العرب أكثر من غيره من الكلام، يقول عنه ابن خلدون: "وعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلاً يرجعون إليه فى الكثير من علومهم وحكمهم"[3].

ويقول عنه أيضاً: "وعلم أن الشعر كان ديواناً للعرب، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم. وكان رؤساء العرب منافسين فيه،

---

(1) العقد الفريد لابن عبد ربه، ج101/1.
(2) طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ج1/ 3.
(3) مقدمة ابن خلدون، ص504، كتاب التحرير 1386هـ - 1966م.

وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده. ويعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر لتمييز حوله"[1].

وقيل إن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ سأل كعب الأحبار: "يا كعب هل تجد للشعراء ذكراً فى التوراة؟ فقال كعب: أجد فى التوراة قوماً من ولد إسماعيل أناجيلهم فى صدورهم ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال لا نعلمهم إلا العرب"[2].

وهكذا نجد أن كعب الأحبار بهذا القول قد جعل أشعار العرب فى أهميتها وقيمتها فى منزلة أناجيل بنى إسرائيل.

ومما يدلنا أيضاً على اهتمام العرب وعنايتها بشعر شعرائها، أنهم كانوا ـ كباراً وصغاراً ـ يحفظون هذه الأشعار ويروونها لمن بعدهم حتى قيل: إن بنى تغلب تلك القبيلة العربية المشهورة كانوا يحفظون معلقة شاعرهم عمرو بن كلثوم ويروونها لكل أبناء القبيلة، وظلوا كذلك حتى هجاهم بعض شعراء بكر بن وائل. حيث يقول:

الهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبدا مذ كان أولهـــم يا للرجال لشعر غير مسئوم[3]

ومما يدلنا كذلك على أهمية الشعر وقيمته عند العرب، قصة زهير مع خاله بشامة بن الغدير التى ذكرها صاحب الأغانى وملخصها أن بشامة ابن الغدير خال زهير بن أبى سُلمى، عندما حضرته الوفاة قسم

---

(1) المصدر السابق، ص513.
(2) العمدة لابن رشيق، جـ25/1.
(3) الأغانى للأصفهانى، ج54/11. الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1992م.

ماله بين أهله لأنه لم يكن له ولد من صلبه ولم يجعل لزهير ابن أخته شيئاً من ماله. فغضب زهير وكان ملازماً له راوياً لشعره، فلما أتاه زهير قال: يا خالاه لو قسمت لى من مالك، فقال: والله يا ابن أختى لقد قسمت لك أفضل من ذلك وأجزله. فقال: ما هو؟ قال شعرى ورثتيه[1].

وهكذا يتضح لنا مما سبق أهمية الشعر وقيمته عند العرب فى الجاهلية، وأنه كان أغلى عند هؤلاء القوم من المال.

المعلقات وأهم تسمياتها

لعل اسم " المعلقات " من التسميات التى كان يطلقها العرب على بعض قصائدهم التى كانوا يعدونها من أجود شعرهم ويفردون لقائلها مكانة كبيرة فى المجتمع الجاهلي، ولكنها غدت على أية حال اسماً لهذه القصائد السبع التى اختارها حماد الراوية[1].

وحماد هذا هو "أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثهم[2]، ولا نعرف أحداً سبق حماداً إلى هذا النمط من الجمع فى تاريخ الشعر العربي. فقد ذُكر أنه أول اختيار مدون عند العرب ذكره ياقوت الحموى وابن خلكان فى ترجمة حماد الراوية: ".... وهو الذى جمع السبع الطوال فيما ذكره أبو جعفر النحاس..."[3]. إلا أن لهذه القصائد التى جمعها حماد تسميات عديدة، وقد جمعت خلافات من حيث التسمية وأسماء الشعراء وأحياناً القصائد المختلفة.

---

(1) المصدر السابق، ج312/10.
(1) الأغانى، ج1، ص164، الفهرست، ص61، نزهة الألباء، ص22.
(2) طبقات فحول الشعراء، ص14.
(3) معجم الأدباء، ج1، ص266، وفيات الأعيان، ج2، ص206.

أما تسمياتها فقد تعددت، وذهب عدد من العلماء إلى تسميتها باسم واحد وذهب آخرون إلى تسميتها بأكثر من اسم فمن تلك التسميات: السموط، والمعلقات، والمذهبات، والقصائد المشهورات، والقصائد السبع الطوال الجاهليات، والقصائد العشر، والسبعيات.

ولبعض المستشرقين آراء حول تسمية "المعلقات" ذكر بلاشير نقلاً عن ليال "أن المعلقات مشتقة من العلق وهو ما يُضن به من الأشياء، والحلى والثياب "[1].

وتفسير كلمة " المعلقات " هذا تفسير لغوي، قد يؤيده تسميتان أخريان وهما " المذهبات " و " السموط "، فكلتا التسميتين تطلقان على ما يعلق بالأعناق لنفاسته وندرته.

أما أمر التعليق فمشكوك فيه، وأول من ذكر التعليق على الكعبة ابن الكلبي المتوفى سنة 204هـ، وقال: " أول شعر علق في الجاهلية شعر امرئ القيس، علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر إليه ثم أحدر "[2].

وحذا حذو ابن الكلبي العلماء وجُلهم مغاربة كابن عبد ربه وابن رشيق القيرواني وابن خلدون[3].

ولم يذكر خبر التعليق أحد من علماء المشرق ممن يُوثق بروايتهم كالجاحظ، والمبرد وصاحب الجمهرة، والأصفهاني، مع أن جميع هؤلاء

---

(1) تاريخ الأدب العربي لبلاشير، ج1، ص181.
(2) تاريخ آداب العرب للرافعي، ج3، ص187، الشهاب الراصد، ص245، خزانة الأدب، ج1، ص126.
(3) ينظر العقد الفريد، ج5، ص269، والعمدة، ج1، ص96.

أوردوا نتفاً من أشعار أصحاب هذه القصائد وتعرضوا فى أكثر من موضع لبعضهم. وذكر الأصفهانى مثلاً " أن عمرو بن كلثوم قام بقصيدته خطيباً بسوق عكاظ، وقام بها فى موسم مكة "[1] ويذكر قصته مع عمرو بن هند وأن القصيدة قيلت فى تلك المناسبة، وذكر ابن قتيبة أن عمرو بن كلثوم " .. قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند وهى من جيد شعر العرب القديم وإحدى السبع.. "[2].

وأما عن طرفة فيقول: " وهو أجودهم طويلة "[3]، و" أشعر الناس واحدة"[4]، ولو كان خبر التعليق صحيحاً ما ضرهم أن يذكروه. فإنا لم نسمع من هؤلاء خبر التعليق، فضلاً عن أن هذه القصائد، كما قال أصحاب التعليق كتبت بماء الذهب على القباطي، وهذه القباطي، كانت فى بلاد مصر ولم يكن جلبها أمراً سهلاً، إذ يحتاج إلى جهد كبير ووقت، وكيف كتبت هذه القصائد على هذا القماش والقرآن الكريم كتب على الجلود والرقاق وسعف النخيل، ألم يكن حرياً بالرسول وصحابته الكرام أن يكتبوه على هذه القياطى تعظيماً له، وحفظاً من الضياع. ثم أن المؤرخين يذكرون أن قريشاً تجزأت الكعبة' فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم، وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبنى جُمح ومنهم بنى عمرو

---

(1) الأغانى، ج9، ص182 ويذكر قصته مع عمرو بن هند مفصلة.
(2) الشعر والشعراء، ج1، ص185.
(3) المصدر السابق، ص137.
(4) طبقات فحول الشعراء، ج30/1، العقد الفريد، ج5، ص271.

بن كعب بن لؤي، وكان شق الحجر لبنى عبد الدار بن قُصى ولبنى أسد بن العزى بن قُصى ولبنى كعب ابن لؤى وهو الحطيم[1].

وهذا خبر يثير لدينا تساؤلاً عن موضع تعليق المعلقات، وعلى أى جدار كان؟ وفى حصة أية قبيلة من الكعبة وقع؟ وكيف لم يثر نزاعاً بين هذه القبائل الكثيرة؟.

ثم إن فى هذه القصائد من المفاخرة والمهاجاة والمنافرة ما كان حريا بأن يثير بين القبائل المعنية بها ما يثيره حين يرى بعضها فى موسم الحج ما يسئ إليه معلقاً على أستار الكعبة.

ويبدو أن قصة التعليق جاءت محاكاة لقصة تعليق حلف خزاعة لعبد المطلب الذى كتبوه بدار الندوة وعلقوه فى الكعبة[2].

وتعليق قريش لصحيفتها التى كتبتها حينما اجتمعت على بنى هاشم وبنى عبد المطلب ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك[3].

وأصحاب المعلقات أو السبع الطوال عند بعض العلماء سبعة من الشعراء الفحول وهو كما ذكرهم ابن عبد ربه[4].

1- امرؤ القيس: ومعلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

2- زهير بن أبى سلمى: ومعلقته:

أمن أم أوفى دمِنَةٌ لم تَكَلّمِ بحومانه الدراج فالمتثلم

---

(1) سيرة النبي- صلى الله عليه وسلم- لابن هشام، ج1، ص211.
(2) كتاب المنمق فى أخبار قريش، ص88.
(3) مروج الذهب، ج3، ص404، سيرة ابن هشام، ج1، ص375.
(4) العقد الفريد، ج5، ص269.

3- طرفة بن العبد : ومعلقته :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

4- عنترة بن شداد العبسي: ومعلقته :

هل غادر الشعراء من متردم؟ أم هل عرفت الدار بعد توهم؟[1]

5- عمرو بن كلثوم: ومعلقته :

ألا هُبى بصحتك فأصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

6- لبيد بن ربيعة العامري: ومعلقته :

عفت الديار محلها فمقامها بمِنىً تأَبدّ غولها فرجامها

7- الحارث بن حلزة : ومعلقته :

آذنتنا بَيْنِها أسمـــــاء رُبَّ ثاوٍ يمـــــل منه الثواء

ويوافق الزوزنى ابن عبد ربه على أسماء أصحاب المعلقات وقصائدهم فى كتابه شرح القصائد السبع، ويوافقهما الأنبارى على ذلك – أيضاً- فى كتابه شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أما ابن النحاس فإنه يضيف إلى السبعة السابقين الأعشى والنابغة الذبياني، ويقول عندما ينتهى من شرح قصيدة عمرو بن كلثوم " فهذه السبع المشهورات، على ما رأيت أكثر أهل اللغة يذهب إليه[2] " ويضيف: " فحدنا قول أكثر أهل اللغة على إملاء قصيدة الأعشى وقصيدة النابغة

---

[1] يدفع أكثر الرواة: أن يكون لعنترة "هذا المطلع " وممن يدفعه الأصمعى وابن الأعرابى وأول القصيدة عندهما "يا دار عبلة " فذكر أبو عمرو الشيبانى أنه لم يكن برويه حتى سمع أبا حزام العكلى يرويه له. الأغانى، ج9، ص213، دار الثقافة، تاريخ الأدب العربي، جرجى زيدان، ج1، ص129، شرح التبريزي، ص294، يذكر خبر أبى عمرو الشيباني.

[2] شرح القصائد التسع المشهورات، ج2، ص681.

لتقديمهم إياهما وإن كانتا ليستا من القصائد السبع "[1].

وبهذا يضيف شاعرين إلى السبعة السابقين ليصبح مجموعهم تسعة شعراء، وينقل أبو زيد القرشى خلافات كثيرة حول أشعر الناس، لكنه يوافق على رأى أبى عبيدة والمفضل على أن أصحاب المعلقات هم " امرؤ القيس ثم زهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة، وقال المفضل هؤلاء أصحاب السبع الطوال التى تسميها العرب السموط..."[2].

وواضح أن هذا الرأى يسقط عنترة بن شداد والحارث بن حلزة ويضع مكانهما النابغة والأعشى، على أن التبريزى يضيف عبيد بن الأبرص، بقصيدته:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ فَالقُطَّبِيَاتُ فالذَّنُوبُ

فيصبح عدد القصائد المختارة عنده عشراً ويقول: "سألتنى حرسك الله أن ألخص لك شرح القصائد السبع مع القصيدتين اللتين أضافهما أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوى قصيدة النابغة الذبيانى الدالية وقصيدة الأعشى اللامية، وقصيدة عبيد بن الأبرص البائية تمام العشر"[3].

وحيث يبدو من المؤكد أن حماداً الرواية مولى بنى بكر بن وائل المتوفى سنة 155هـ[4]، هو الذى اختار القصائد السبع فإن الذى يبقى

---

(1) السابق، ج2، ص682.
(2) جمهرة أشعار العرب، ص80.
(3) شرح القصائد العشر للتبريزى، ص1.
(4) ينظر ترجمته فى وفيات الأعيان، ج2، ص206.

موضع التساؤل هو الدوافع التى حدت به إلى القيام بهذه المهمة، والأسس التى أقام عليها اختياره، أما الدوافع فقد سبق ابن النحاس إلى تقريرها بقوله " وأصح ما قيل فى هذا أن حماداً الراوية لما رأى زهد الناس فى حفظ الشعر جمع هذه السبع وحضهم عليها وقال لهم هذه المشهورات فسميت القصائد المشهورة لهذا"[1] على أن ذلك لا ينبغى أن يشغلنا عن ملاحظة الحقيقة التاريخية، وهى أن حماداً عاش أيام الدولة الأموية التى ظل ولاة الأمر فيها حريصين على إحياء الشعر العربى وتشجيع الإقبال عليه ودراسته والإفادة منه، فى وجوه الحياة، فتلك هى الحقيقة الأساسية التى نراها وقفت وراء عمل حماد وعمل عشرات العلماء من جيل الرواد الذين اكتمل على أيديهم بعث ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي.

---

[3] شرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس، ج2، ص682.

obeikandl.com